

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### الدرس الأول

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على إمام المرسلين؛ نبينا محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد... فنحمد الله الكريم رب العرش العظيم على نعمه العظيمة وآلائه التي لا تعد ولا تحصى، ومنها نعمة هذا الاجتماع المبارك في هذا المسجد لمدرسة أحاديث الرسول الكريم ﷺ في العقيدة والعبادة والأخلاق، وجلوسنا هذا مئة الله علينا، ولولا مئة الله وتوفيقه وتيسيره لما تيسر هذا الاجتماع، ولما تهيأ هذا اللقاء، فله الحمد أولاً وآخراً، وله الشكر ظاهراً وباطناً، ونسأله سبحانه أن يوزعنا وإياكم شكر نعمته، وأن يتممها علينا، وأن يوفقنا لكل خير يحبه ويرضاه.

وقد ثبت في «صحيح مسلم» عن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن حلقة جلوس في المسجد نتذاكر؛ فقال: «**ما أجلسكم؟**» قلنا: جلسنا نتذاكر الإسلام وما من الله علينا به. فقال ﷺ: «**الله ما أجلسكم إلا ذلك؟**» يستحلفهم بالله - قلنا: والله ما أجلسنا إلا ذلك. فقال عليه الصلاة والسلام: «**أما والله إنني لم أستحلفكم تهمه لكم، ولكن أناي جبريل آتفا فأخبرني أن الله يباهي بكم ملائكته.**»

فانظر عظيم أجر ورفيع مكانة من يجلس أمثال هذه المجالس في بيوت الله تعالى، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده.**»

وثبت عنه ﷺ أنه قال: «**إذا مررتم برياض الجنة، فارتعوا.**» قالوا: وما رياض الجنة؟ قال: «**حلق الذكر**»؛ أي: مجالس العلم التي يبين فيها الحلال والحرام، والتي تُبين فيها الأحكام.

فلتستشعر أخي الموفق نعمة الله عليك بهذا الاجتماع، ومنته عليك بهذا الجلوس المبارك في بيت من بيوت الله تعالى للعلم وللعلم وحده ولمذاكرة دين الله جلّ وعلا، في وقت يجتمع فيه كثير من الناس على غير هدى وعلى غير سبيل.

فالحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى.

ثم عملاً بقول النبي ﷺ: «**لا يشكر الله من لا يشكر الناس**»، وهو حديث ثابت، وعملاً بهذا الحديث فإنه أصالة عن نفسي وعنكم أيها الإخوة نشكر كل من كان سبباً - بتوفيق الله تعالى - لهذا الاجتماع، وكل

من أسهم فيه بكل نوع أو سبيل من سبل العون والمساعدة، ونخصّ سمو الشيخ حاكم الشارقة الدكتور سلطان القاسمي - وفقه الله لكل خير - على رعايته لهذه الدورة وما فيها الدروس، واهتمامه الخاص بها وليس هذه بغريب عليه، زاده الله توفيقاً وهُدًى وسداداً ونفعاً للإسلام والمسلمين، وجعل هذا اللقاء في ميزان حسناته، إنَّ ربِّي لسميع الدعاء وهو أهل الرجاء وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أمّا موضوع الدّرس الذي نتناوله في لقائنا في هذه الدّورة العلمية «الرّابعة المقامة في أمانة الشارقة» في كتاب «جوامع الأخبار»، لمؤلّفه الإمام العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السّعودي رَحِمَهُ اللهُ المتوفّى سنة ستّ وسبعين وثلاثة مائة وألف للهجرة. وهو غنيّ عن التعريف، وطلاب العلم يعرفون هذا الإمام العلامة بكتبه النافعة ومؤلفاته العظيمة المفيدة، والتي تربو على أربعين مؤلّفًا في العقيدة والتفسير والفقه والحديث، وهي كتبٌ نافعة تمتاز بسهولة عبارتها، وجزالة ألفاظها، وحُسن سبكها، وجودة تحقيقها، ومثانة صياغتها، إلى غير ذلك ممّا تميّزت به كتب هذا الإمام، كما هو معلوم لدى أهل العلم وطلّابه. ولهذا حظيت كتبه رَحِمَهُ اللهُ بقبولٍ واسع، وانتشارٍ كبير بين طلّاب العلم، وقرئت في مجالس كثيرة، وأفيد منها فوائد عظيمة، وقد مرّ معنا في هذه الدورة العلمية في المرات السابقة بعض مؤلفات الشيخ رَحِمَهُ اللهُ حيث قرئت في هذه الدّورات.

ونسأل الله جلّ وعلا أن يثيب الشيخ ويرحمه ويجزيه خير الجزاء على مؤلّفه هذا النافع الذي اجتمعنا لدراسته، وعلى عامّة مؤلفاته، ونسأل الله جلّ وعلا أن يرفع درجته وأن يُعلي قدره، وأن ينفع بجهوده عباد الله المسلمين.

ثم أيها الإخوة هذا المؤلّف «جوامع الأخبار» مؤلف بديع من عالم ضليع جمع فيه رَحِمَهُ اللهُ تسعة وتسعين حديثاً من جوامع كلم الرسول ﷺ، انتقاها بنفسه انتقاءً بارعاً، ونوّعها فلم تكن في العقيدة فقط، أو في الأحكام فقط، أو في الأخلاق والآداب والسلوك، وإنما جاءت أحاديث منوّعة في العقيدة والعبادة والأخلاق والآداب، وهي أحاديثٌ لا غنى لمسلمٍ عنها، ليس طالب العلم فقط؛ لأهمّيتها وعظيم موقعها من الدّين، ولكونها من جوامع كلم الرسول الكريم ﷺ.

ثم إنه رَحِمَهُ اللهُ كتب عليها شرحاً مختصراً سمّاه «بهجة قلوب الأبرار وقرّة عيون الأخيار» في شرح جوامع الأخبار، وإذا تيسر لك حفظ هذه الأحاديث، وقراءة شرح الشيخ لها رَحِمَهُ اللهُ فإنّك تحوز على خيرٍ عظيم وعلم مبارك في أنواع العلوم الشرعية في العقيدة والعبادة والآداب.

وقد اجتهد رَحِمَهُ اللهُ أَنْ يَأْتِي فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ عَلَى مَهْمَاتِ الدِّينِ وَأَصُولِهِ وَأَدَابِهِ وَأَخْلَاقِهِ وَجَمَالِهِ وَمَحَاسِنِهِ، وَمَعَ جَمْعِهِ لِهَذِهِ الْأَحَادِيثِ وَضَحَ لَكَ دَلَالَاتُهَا وَبَيَّنَ لَكَ غَايَاتُهَا وَمَقَاصِدُهَا، وَأَوْضَحَ مَجْمَلَهَا، وَأَبَانَ مَعَانِيَهَا، بِعِبَارَةِ الشَّيْخِ السَّهْلَةِ، وَأَسْلُوبِهِ الْوَاضِحِ.

فَأَنْصَحُكَ أَخِي الْمُسْلِمَ بِالْعَنَاءِ بِهَذَا الْكِتَابِ وَالْإِهْتِمَامِ بِالْبَالِغِ بِهِ، وَأَنْ تَحْرُسَ عَلَى حِفْظِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي جَمَعَهَا مُصَنِّفُهَا رَحِمَهُ اللهُ، وَأَنْ تَجْتَهِدَ فِي قِرَاءَةِ شَرْحِهِ، وَأَنْ تَعْقِدَ -أَنْتَ يَا رَبَّ الْأُسْرَةِ- مَنَافَسَاتٍ بَيْنَ أَبْنَائِكَ وَمَنْ تَعُولُ لِحِفْظِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ وَمَذَاكِرَتِهَا؛ فَإِنَّهَا بِإِذْنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى تَحَقِّقُ لَكَ بَرَكَهَ فِي بَيْتِكَ، لِأَنَّ الْبَرَكَهَ مَعَ دِينِ اللَّهِ تَعَالَى وَطَاعَتِهِ وَاتِّبَاعِ رَسُولِهِ ﷺ.

وَإِذَا قُمْتَ بِمَا أَشْرَتْ إِلَيْهِ مِنَ الْعَنَاءِ بِهَذِهِ الْأَحَادِيثِ مَذَاكِرَةً وَحِفْظًا وَتَشْجِيْعًا لِلْأَبْنَاءِ وَالْأَهْلِ فِي الْبَيْتِ، حَصَلَتْ فِي بَيْتِكُمْ خَيْرًا عَظِيمًا، وَسَتُرُونَ بِإِذْنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَثْرَهُ وَعَائِدَتَهُ عَلَيْكُمْ بِالْعَنَاءِ وَالتَّطْبِيقِ وَالْإِهْتِمَامِ، لَيْسَ بِالْحِفْظِ فَقَطْ أَوْ الْفَهْمِ، وَإِنَّمَا بِالْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ؛ حِفْظُ الْأَحَادِيثِ وَفَهْمُ مَعَانِيهَا وَتَطْبِيقُهَا. وَالْآنَ نَبْدَأُ بِالْحَدِيثِ الْأَوَّلِ مِنْ أَحَادِيثِ هَذَا الْكِتَابِ، مُسْتَعِينِينَ بِاللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

### الحديث الأول

عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهَاجَرَتْهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهَاجَرَتْهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

هَذَا هُوَ الْحَدِيثُ الْأَوَّلُ فِي هَذَا الْكِتَابِ الْمُبَارَكِ «جَوَامِعُ الْأَخْبَارِ»، بَدَأَ بِهِ رَحِمَهُ اللهُ قَبْلَ غَيْرِهِ مِنَ الْأَحَادِيثِ، حَدِيثُ «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ».

وَبَدَأَ الْمَصْنُفُ رَحِمَهُ اللهُ بِهَذَا الْحَدِيثِ وَتَقْدِيمِهِ لَهُ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْأَحَادِيثِ، لَهُ غَايَةٌ وَمَقْصِدٌ، وَهُوَ فِي هَذَا الْمَسْلُوكِ سَلَكُ طَرِيقَةٍ عَدَدٍ كَبِيرٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فَعَلُوا ذَلِكَ:

مِنْهُمْ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ صَاحِبُ «الصَّحِيحِ»، فَإِنْ أَوَّلَ حَدِيثٍ صَدَّرَ بِهِ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ كِتَابَهُ «الصَّحِيحُ» هُوَ هَذَا الْحَدِيثُ.

وَكَذَلِكَ الْبَغَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ صَدَّرَ كِتَابَهُ «شَرْحُ السَّنَةِ» بِهَذَا الْحَدِيثِ.

وَالْإِمَامُ الْحَافِظُ عَبْدُ الْغَنِيِّ الْمَقْدِسِيُّ رَحِمَهُ اللهُ صَدَّرَ كِتَابَهُ الشَّهِيرَ «عَمْدَةُ الْأَحْكَامِ» بِهَذَا الْحَدِيثِ، وَهُوَ مِنَ الْمَتُونِ الْمَقْرَّرَةِ فِي هَذِهِ الدَّوْرَةِ.

وكذلك الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ صَدَّرَ كتابه «الأربعين» الكتاب الشهير المعروف صَدَّرَهُ بهذا الحديث، وفعل مثل هذا جمعٌ كبير من أهل العلم؛ بل قال الإمام عبد الرحمن بن مهدي رَحِمَهُ اللهُ: "ينبغي لمن صنف كتاباً أن يبدأ بهذا الحديث". وقال: "لو صُنِفَتْ كتاباً لبدأت بهذا الحديث".

وهذا الحديث عناية جمع من أهل العلم بالبدء به؛ لأن صلاح العلم وصلاح العمل وصلاح القول إنما يكون بصلاح النية، كما قال عليه الصلاة والسلام: «**إنما الأعمال بالنيات**»، وبدؤهم بهذا الحديث حتى يستحضر السالك السائر في طريق الخير أهميّة النية وعظم شأن البدء بها، والعناية بها، في بدء الأمر وأثنائه وتمامه، وأن تكون النية معه من أول الأمر، والإنسان لضعفه عندما يدخل في عملٍ صالح قد تتنابه فيه نوايا، العلم أو غيره، إذا جاء إلى العلم على سبيل المثال قد يدخل عليه بعض النوايا فتقول له نفسه: احضر مجالس العلم حتى يكون لك سيطر، أو يكون لك شأن، أو احضر مجالس العلم حتى يشير إليك الناس بأنك من طلابه، أو غير ذلك من النوايا التي تدخل القلب.

ولهذا كان من المتأكد على كل سالك أو سائر في سبيل الخير أن يستحضر النية، وأن الأعمال بالنيات، وأن الله تبارك وتعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان يُتَغى به وجهه تبارك وتعالى؛ لأجل هذا صَدَّرَ من صدر من أهل العلم مؤلفاتهم بهذا الحديث، حتى تستحضر النية من أول الطلب.

ولهذا جديرٌ بكل واحد منا وفقه الله عَزَّوَجَلَّ للحضور إلى هذا المسجد والمشاركة في هذه الدورة أن ينوي بمجيئه نية صالحة بينه وبين الله، يطلب بمجيئه رضا الله، ينشد بجلوسه وجه الله، ويتغنى بحضوره ثواب الله تبارك وتعالى، وقد قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩] أي: يشكر الله عَزَّوَجَلَّ لهم سعيهم. والآية فيها شروط العمل المشكور عند الله المقبول عنده المثاب عامله عليه.

ولهذا جاء عن الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ قال: "هذا الحديث يدخل في سبعين باب من أبواب العلم"، الصلاة باب من أبواب العلم، والنية تدخل في هذا الباب، والزكاة والصيام والحج والصدقة وكل طاعة. ولهذا هذا الحديث عدّه أهل العلم أحد أحاديث ثلاثة أو أربعة أو خمسة على أقوالٍ لأهل العلم يدور عليها الدّين، ومدار الدّين عليها.

يقول الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: أصول الإسلام ترجع إلى ثلاثة أحاديث «إنما الأعمال بالنيات»، وحديث «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»، وحديث «إنّ الحلال بين والحرام بين وبينها أمور مشبهات».

قد جاء عن الإمام الشافعي رحمه الله أنه قال: "هذا الحديث ثلث العلم".

ويكفي سماع هذا الكلام من هؤلاء الأئمة الأعلام معرفة بقدر هذا الحديث، وأهميته وشدة احتياج طلاب العلم؛ بل عامة المسلمين إليه، حفظاً وفهماً وتطبيقاً، حديث **«إنما الأعمال بالنيات»**، تحتاجه في طلب العلم، وتحتاجه في الصلاة، وفي الصيام، وفي الزكاة، وفي كل طاعة.

وإذا لم يكن معك هذا الحديث، أعني: ما دلَّ عليه من لزوم النية الصحيحة فإنك لا تتنفع بعملك، ولا تستفيد من طاعتك؛ لأن الطاعة والعبادة لا تكون مقبولة عند الله عز وجل إلا بالنية، إنما الأعمال بالنيات.

فالعبادة لا بد فيها من نية؛ أن تنوي بها وجه الله، وتقصد بها وجه الله تبارك وتعالى، فإذا كان العمل قائماً على هذا الأساس مبنياً على هذا الأصل، فإنه وجد فيه أساس عظيم وأصل متين لا بد منه في قبول العمل.

قال رحمه الله: **«إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى»**. فقله: **«إنما الأعمال»**، (أل) هنا قد يكون المراد بها الاستغراق لأعمال والطاعات والقربات، مثل الصلاة والصيام والحج، وغير ذلك من الطاعات، وقد يكون المراد بالأعمال كلها، بمعنى أنك إذا صليت ونويت بصلاتك وجه الله تبارك وتعالى وثوابه والدار الآخرة، فأنت على نيتك ولك ما نويت، وإن نويت بها أمراً آخر فأنت على نيتك، ولك ما نويت؛ كما قال: **«ولكل امرئ ما نوى»**.

وكذلك الشأن في الأمور المباحة مثل الطعام والشراب واللباس والنوم وغير ذلك، أيضاً هذه الأعمال بالنيات، وهذا من فضل الله تبارك وتعالى. فإذا نويت بطعامك وشرابك ولباسك ونومك وسائر هذه الأمور نويت بها القوة على طاعة الله والاستعانة بها على عبادة الله، ونويت بها مقاصد صحيحة وغايات مباركة من غايات الشريعة، فلك ما نويت لعموم قوله رحمه الله: **«إنما الأعمال بالنيات»**.

ولهذا دل الحديث بعمومه على أن نوم الإنسان وقومته وطعامه وشرابه وسائر حركاته، إذا نوى بها الخير والنية الطيبة، والمقصد الصالح أجز على ذلك: **«إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى»**.

**«إنما الأعمال بالنيات»** أي: بنيات أصحابها ومقاصدهم فيها، و**«الأعمال بالنيات»**، أي: اعتبارها وقبولها بالنية، فإذا كانت قائمة على نية صحيحة نية خالصة قصد بها وجه الله فإنها تكون مقبولة عند الله عز وجل مثاباً عليها صاحبها؛ ولهذا قال: **«إنما لكل امرئ ما نوى»**، إن نوى وجه الله والدار الآخرة، أثابه الله وكان عمله هذا في صالح أعماله، وفيما يشكره الله تبارك وتعالى له من عمله، وإن كان نوى بها غير ذلك من دنيا يصيبها، أو غير ذلك من متع الدنيا، فله ما نوى، وإنما لكل امرئ ما نوى.

قوله: «**إنما الأعمال بالنيات**»، أي: معتبرة بنياتها فلا تقبل إلا بالنية.

وقوله: «**وإنما لكل امرئ ما نوى**»، هذا إشارة إلى الثواب والأجر.

فإذا نوى بعمله وجه الله والدَّار الآخرة، فله ما نوى، أي: أجرًا وثوابًا من عند الله عَزَّوَجَلَّ.

وإذا نوى بعمله الصالح غير ذلك فله ما نوى عقوبةً وسخطًا من الله تبارك وتعالى.

ثم إنَّ النية في إطلاق أهل العمل لها اعتباران:

• نية باعتبار العمل.

• ونية باعتبار المعمول له؛ أي: من تُقَرَّب إليه بالعمل.

نية العمل هذه كثيرًا ما يأتي بحثها في كُتُب الأحكام، وغالبًا إذا أُطلقت النية في كتب الأحكام فالمراد بها نية العمل، والمراد بنية العمل؛ أي: ما تتميز به العبادات بعضها عن بعض، وكذلك ما تتميز به العبادات عن العادات، فإنَّ هذه لا يحصل بينها التميز إلا بالنية.

فمثلاً صلاة الفجر الفريضة، وركعتي الفجر النافلة، هما من حيث الأداء والأعمال واحدة، ولكن يميز هذه عن هذه النية. ميز الصلاة فرضها عن نفلها النية، فأنت إذا صليت ركعتي الفجر النافلة تنوي النافلة، والنية محلها القلب والتلفظ بها بدعة، لا يُتلفظ بها، وصلاة الفجر الفريضة يميّزها عن النافلة النية، فهذه تنوي بها الفريضة، وهذه تنوي بها النافلة، فالأعمال بالنيات، وعموم الحديث يدل على ذلك، ولهذا يستشهد به الفقهاء على ضرورة النية وأهميتها للتمييز بين العبادات.

وكذلك للتمييز بين العادة والعادة. الغسل الذي هو غسل الجنابة هذا عبادة، ولا تصح الصلاة إلا به؛ لكن الذي يميّزه عن غسل العادة الذي هو للنظافة ولمجرد تنقية الجسم وإطابته، الذي يميز هذه العادة عن الغسل الذي هو عبادة: النية، ولهذا لا بد منها في التمييز بين العبادات والتمييز أيضا بين العبادات والعادات.

ويدل على ذلك عموم الحديث «**إنما الأعمال بالنيات**».

وللنية اعتبار آخر وإطلاق آخر من جهة من يقصد بالعبادة، والمقصود بالعمل، «**إنما الأعمال بالنيات**»

أي: من يقصد بالتوجه والتقرب والعمل، والمراد بالنية هنا الإخلاص، كما قال الله جل وعلا: ﴿وَمَا أُمِرُوا

إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، وكما قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]، ولهذا لا

تقبل العبادة مهما كانت إلا إذا كانت خالصة لوجه الله، لا يُبتَغى بها إلا وجه الله، ويدل هذا على عموم

الحديث «**إنما الأعمال بالنيات**».

وقد تضافرت الأدلة في الكتاب والسنة على أهمية الإخلاص، وأنه أصل متين وأساس عظيم، لا قيام للدين ولا قبول للطاعة إلا به، وكلُّ عملٍ غير قائمٍ على الإخلاص للمعبود لا يقبله الله، كما ثبت في الحديث القدسي: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه**» فالله عزَّ وجلَّ لا يقبل من العمل إلا الخالص، والخالص هو الصافي النقي الذي لم يُرد به إلا وجه الله تبارك وتعالى.

فهذان إطلاقان للنية:

**الأوّل:** يكثر ذكره في كتب الأحكام.

**والثاني:** يكثر ذكره في كتب العقائد.

ثم إنَّ النبي ﷺ لما بيَّن في هذا الحديث أنَّ الأعمال بالنيَّات، وأن لكل امرئ ما نوى ضرب به مثال يتَّضح به المقصود، ولهذا فإن من فوائد الحديث أهمية ضرب الأمثال لطلاب العلم وللدارسين، حتى يتَّضح لهم المراد والمقصود، وقد كان من هدي النبي ﷺ كذلك كثيراً ما يضرب الأمثال ليتَّضح بها المراد ويستبين بها المقصود، فلما قال عليه الصلاة والسلام: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى**» ضرب مثلاً يتَّضح به هذا الأمر؛ فقال: «**فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه**» فضرب مثلاً بالهجرة، الهجرة قربة لله تبارك وتعالى، وطاعة يحبُّها الله من عباده؛ لكنَّها لا تكون مقبولة عنده إلا إذا كانت هجرة إلى الله ورسوله «**فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله**».

ولاحظ هنا فيه شرط وجواب الشرط: الشرط: «**من كانت هجرته إلى الله ورسوله**»، وجوابه: «**فهجرته إلى الله ورسوله**»، والعادة أن جواب الشرط يكون مغايراً للشرط؛ لكن هنا الشرط والجواب متَّفقان «**فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله**»، العادة أن يكون الجواب مغايراً، كأن يكون: فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله آثابه الله ثواباً عظيماً، أو قبل الله هجرته، أو أعد له جزيل الثواب وعظيم المآب، أو مثل ذلك. لكن هنا تلاحظ أن الجواب مطابق للشرط، لكنه مطابق له في اللفظ، لكنه ليس مطابقاً له في الدلالة. فقوله: «**من كانت هجرته إلى الله ورسوله**» هنا، أي: النية بالهجرة إن كانت خالصة وصحيحة وسليمة، من كانت هجرته كذلك، «**فهجرته إلى الله ورسوله**»، هنا المراد بها ثواب الهجرة وما

أعدَّ الله للمهاجرين من عظيم الثواب وجزيل المآب، «فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله» ينوي بها ذلك، «فهجرته إلى الله ورسوله»، أي: ثوابًا وأجرًا وإنعامًا وإكرامًا، وغير ذلك مما أعده الله تبارك وتعالى لأهل هذه السبيل.

والمراد بالهجرة في اللغة: الترك، والهجرة التي أمرنا بها:

**هجرة من دار الكفر إلى دار الإيمان**، ولهذا لما فتحت مكة قال عليه الصلاة والسلام: «لا هجرة بعد الفتح».

**وهجرة للمعاصي والذنوب والبدع والضلالات**، والإقبال على كتاب الله، وسنة نبيه ﷺ، وامتنال أوامر الله، وأوامر رسوله عليه الصلاة والسلام، فهذه هجرة.

ولهذا سيأتي معنا في الحديث قريبًا، أن النبي ﷺ قال: «والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه»، «من هجر»، أي: ترك، ولهذا ترك الذنوب والبعد عنها هجرة، هجرة إلى الله وإلى رسوله، والهجرة إلى الله ﷻ تكون بالإخلاص ولزوم كتابه العزيز، والهجرة إلى الرسول ﷺ تكون بلزوم سنته واتباع هديه والسير على منهاجه صلوات الله وسلامه عليه.

وللإمام ابن القيم رحمه الله رسالة صغيرة الحجم، عظيمة الفائدة تُعرف بـ«الرسالة التبوكية»، حقيقةً أبدع وأجاد في الكلام عن الهجرة، في تلك الرسالة، وأنصح بالاطلاع عليها والإفادة منها، تكلم عن تقوى الله ﷻ، وتكلم عن الهجرة بنوعيتها، بكلامٍ ملخص مفيد، وتكلم عن هذا الموضوع بأوسع بيان وأوفى تحقيقاً في كتابه الشهير «طريق الهجرتين» وهو كتابٌ نافع مائع في هذا الباب العظيم، الهجرة إلى الله بطاعته سبحانه، واتباع أوامره، والانتفاء عن نواهيه، والإيمان به ﷻ، وإخلاص الدين له، والهجرة إلى الرسول ﷺ باتباعه والاقتران به والاهتداء بهديه ولزوم سنته، والسير على منهاجه، ولزوم غرضه صلوات الله وسلامه عليه.

«فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله»، أي: له ما للمهاجرين إلى الله ورسوله من الثواب الجزيل والأجر العميم وخيري الدنيا والآخرة.

ثم قال: «ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه»، لاحظ هنا قال: «فهجرته إلى ما هاجر إليه»، ما أعاد كما أعاد في الأول، وإنما قال: «فهجرته إلى ما هاجر إليه» وعدم الإعادة للتحقير والتهوين، «فهجرته إلى ما هاجر إليه» يعني له هذا الذي هاجر إليه ولم يسمه ولم يذكره

تحقيرًا، وعدم اهتمام به لم يذكر؛ ولهذا قد لا يذكر الشيء لعدم الاهتمام به، ولهذا لم يعده قال: «فهجرتَه إلى ما هاجر إليه».

«من كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها» يعني: من كان ينوي بالهجرة هذين الأمرين: إما دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها؛ فالأول تاجر، والثاني خاطب، «فهجرتَه إلى ما هاجر إليه»، الأول تاجر «لدنيا يصيبها»، والثاني خاطب «امرأة ينكحها»، فإذا كان يقصد بالهجرة التي هي قرينة وطاعة لله ﷻ «دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها» فماذا؟ «فهجرتَه إلى ما هاجر إليه»، هذا مثال، وإلا قل مثله في عموم الطاعات، لو أن شخصًا أقبل على العلم حفظًا ودراسةً ولزومًا للعلماء، ومذاكرة له لا لشيء إلا ليقال: عالم، أو ليشتهر به فماذا؟ «فهجرتَه إلى ما هاجر إليه»، الأعمال بالنيات، لا يكفي في قبول العمل صلاح العمل في ظاهره؛ بل لابد من صلاح النية، والأعمال معتبرة بنياتها ومقاصد أصحابها بها، فإذا قصد به وجه الله فهو في عمله الصالح الذي يشكره الله له ويثيبه عليه، وإن قصد به سوى ذلك فله ما نوى.

قال: «ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرتَه إلى ما هاجر إليه» أي: حظُّه من هذه الهجرة هذا الذي فعل، ولهذا جاء في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: «إنَّ أول من تُسَعَّر بهم النار ثلاثة» وذكر منهم: «رجلاً حفظ القرآن، وأنه يجاء به يوم القيامة فيقول: حفظت كتابك وتعلّمت كتابك، فيقول الله ﷻ: تعلّمت ذلك ليقال: عالم وقد قيل، والآخر جاهد فيقال له: جاهدت ليقال: مجاهد وقد قيل» انتهت في الدنيا هذه، يعني أنت قصدت به أن يقال: عالم وانتهى، لك ما نويت، قد قيل في الدنيا: إنك عالم انتهت، أما ثواب في الآخرة لا يوجد «لكل امرئ ما نوى».

وكذلك الجهاد ولهذا لما سئل عليه الصلاة والسلام: الرَّجُلُ يُقاتل حمية، والرَّجُلُ يُقاتل كذا، والرجل يُقاتل كذا، أيُّهم في سبيل الله؟ قال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»، فمن نوى بعمله أي شيء فله ما نوى، ولهذا يقال يوم القيامة: قد قيل: عالم، وقد قيل: مجاهد، ولا يدخل مع الإنسان في قبره من صالح عمله إلا ما كان ينوي به وجه الله تبارك وتعالى، وما سوى ذلك ليس من صالح عمل الإنسان؛ لأنه ليس قائمًا على نية صحيحة.

وقد جاء في بعض الشُّروحات لهذا الحديث ذكر قصة مهاجر أم قيس، ويذكرونها سببًا لهذا الحديث وأنَّ رجلاً كانت هجرته من مكة إلى المدينة بسبب حبِّه لامرأة يقال لها: أم قيس، وأن سبب ورود هذا الحديث هو قصّة هذا الرجل؛ لكن هذه القصّة كما نبه جماعة من أهل العلم منهم الحافظ ابن كثير وغيره

ليس لها أصلٌ صحيحٌ ثابت، ولهذا لا تعتمد؛ لأنها ليست صحيحة، وليس هناك أصلٌ صحيحٌ ثابت يدل على ذلك، لكنَّ الحديث بعمومه ودلالته واضحٌ في بيان الأمر وبيان أهميَّة النية وأن صلاح الأعمال واعتبارها إنما يكون بنياتها.

ونسأل الله ﷻ بأسمائه الحسنی وصفاته العلی أن يرزقنا وإياكم الإخلاص في القول والعمل، وأن يعيذنا وإياكم من الشرك، ونعوذ به جل وعلا أن نُشرك به ما نعلم ونعوذ به مما لا نعلم.



## الحديث الثاني

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ» متفق عليه.

وفي رواية لمسلم: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ».

ثم إنَّ المؤلف رحمه الله ثنى بهذا الحديث حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وقد مرَّ معنا قريباً قول الإمام أحمد رحمه الله أن أصول الإسلام تدور أو ترجع إلى ثلاثة أحاديث، وذكر منها هذا الحديث؛ حديث «مَنْ أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ».

المؤلف رحمه الله وفق في ذكر هذا الحديث عقب حديث «إنَّما الأعمال بالنيات»؛ لأن الحديث الأول أعني حديث «إنَّما الأعمال بالنيات» فيه العناية بالباطن، وأنَّ قبول الأعمال لابدَّ فيها من صلاح الباطن، باطن الإنسان بأن يكون في باطنه نيةً صالحة وقصد صحيح واتِّجاه سليم لا يقصد بعمله إلا وجه الله تبارك وتعالى، ففيه إصلاح الباطن بالنية الصالحة والقصد الصحيح، والنية التي هي في باطن الإنسان لا يطلع عليها إلا ربُّ العالمين الذي يعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور لا يعلم ذلك إلا الله، ولهذا يشترك النَّاس في ظواهر الأعمال، وما يبدون من أعمال؛ لكن ما تُخفي صدورهم، وما تنطوي عليه قلوبهم لا يعلمه إلا الله، ولا يطلع عليه إلا الله ربُّ العالمين، الذي يعلم السر وأخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، الذي الغيب عنده شهادة والسرُّ عنده علانية، لا تخفى عليه خافية.

فحديث «إنَّما الأعمال بالنيات» فيه اهتمامٌ بإصلاح باطن الإنسان.

وحديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فيه الاهتمام بإصلاح ظاهر الإنسان، وأن تكون أعماله وطاعاته وما يقوم به من قربات صحيحةً سليمةً، إن لم تكن الأعمال كذلك فهي ردٌّ؛ أي: مردودة على صاحبها.

ومجموع الحديثين حديث عمر وحديث عائشة رضي الله عنهما يدلان على أنَّ الأعمال كلّها والطاعات جميعها

لا تُقبل إلا بشرطين: الإخلاص للمعبود والمتابعة للرَّسول.

دَلَّ عَلَى الشَّرْطِ الْأَوَّلِ -الذي هو الإخلاص للمعبود- قوله عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ...**» إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ.

وَدَلَّ عَلَى الشَّرْطِ الثَّانِي الَّذِي هُوَ الْمَتَابَعَةُ لِلرَّسُولِ حَدِيثُ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**».

فَهُمَا شَرْطَانِ لَا قَبُولَ لِأَيِّ عَمَلٍ مِنَ الْأَعْمَالِ إِلَّا بِهِمَا، وَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ ﷻ بَيْنَهُمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف] الْعَمَلُ الصَّالِحُ هُوَ الَّذِي اتَّبَعَ فِيهِ الْعَامِلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [١١] فِيهِ الْإِخْلَاصُ لِلْمَعْبُودِ وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشَّرِكِ وَالْبَعْدُ عَنْهُ، فَهُمَا شَرْطَانِ لَا بَدَّ مِنْهُمَا، وَتَأَمَّلْ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ؛ بَلْ تَأَمَّلْ جَمَالَ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ فِي وَصِيَّتِهِ لِمَعَاذٍ فِي الدَّعْوَةِ الَّتِي رَغَّبَهُ أَنْ يَقُولَهَا دَبْرَ كُلِّ صَلَاةٍ؛ قَالَ: «**إِنِّي أَحْبَبْتُ فَلَا تَدْعُنَ دَبْرَ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَعْنِي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحَسَنَ عِبَادَتِكَ**» لَمْ يَقُلْ: وَعِبَادَتِكَ، وَإِنَّمَا قَالَ: «**وَحَسَنَ عِبَادَتِكَ**»، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧] لَمْ يَقُلْ: أَيُّكُمْ أَكْثَرُ عَمَلًا، وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ وَلِهَذَا أَوْقَفَ الْفَضِيلُ بْنُ عِيَّاضٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هَذِهِ الْآيَةَ وَقَفَّةً جَمِيلَةً، قَالَ: "﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أَيُّ: أَخْلَصَهُ وَأَصُوبَهُ، قِيلَ: يَا أَبَا عَلِيٍّ وَمَا أَخْلَصَهُ وَأَصُوبَهُ؟ قَالَ: إِنْ الْعَمَلُ إِذَا كَانَ خَالِصًا وَلَمْ يَكُنْ صَوَابًا لَمْ يُقْبَلْ، وَإِذَا كَانَ صَوَابًا وَلَمْ يَكُنْ خَالِصًا لَمْ يَقْبَلْ، حَتَّى يَكُونَ خَالِصًا صَوَابًا، وَالْخَالِصُ مَا كَانَ لِلَّهِ، وَالصَّوَابُ مَا كَانَ عَلَى السَّنَةِ"، فَلَا بَدَّ مِنَ الْأَمْرَيْنِ؛ إِخْلَاصٌ لِلْمَعْبُودِ وَمَتَابَعَةٌ لِلرَّسُولِ، فَلَوْ جَاءَ الْعَابِدُ بِالْعِبَادَةِ لِلَّهِ خَالِصَةً وَلَيْسَ فِي السَّنَةِ مُوَافَقَةً لَا يَقْبَلُهَا اللَّهُ، لِقَوْلِهِ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»، وَلَوْ جَاءَ الْعَابِدُ بِعِبَادَةٍ لِلسَّنَةِ مُوَافَقَةً مِنْ حَيْثُ ظَاهَرِ الْعَمَلِ وَلَكِنْهَا لَيْسَتْ لِلَّهِ خَالِصَةً لَا يَقْبَلُهَا اللَّهُ، لِقَوْلِهِ: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ...**» إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ، فَهُمَا شَرْطَانِ لَا بَدَّ مِنْهُمَا وَأَصْلَانِ لَا بَدَّ مِنْهُمَا لِقَبُولِ الْأَعْمَالِ إِخْلَاصٌ لِلْمَعْبُودِ وَمَتَابَعَةٌ لِلرَّسُولِ.

وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَعْرِفَ نَاقِصَ النَّاسِ مِنْ حَيْثُ التَّطَبُّعُ لِهَٰذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ وَالْقِيَامُ بِهِمَا الشَّرْطَيْنِ فَإِلَى كَمْ قِسْمٍ يَنْقَسِمُونَ؟ أَرْبَعَةٌ أَقْسَامٌ:

القسم الأول: أَخْلَصَ وَتَابَعَ.

القسم الثاني: أَخْلَصَ وَلَمْ يَتَابَعَ.

القسم الثالث: تَابَعَ وَلَمْ يُخْلَصَ.

القسم الرابع: لا إخلاص ولا متابعة.

والله عَزَّوَجَلَّ لا يقبل من هذه الأقسام الأربعة إلا القسم الأول الذي هو إخلاص ومتابعة، إخلاص لله ﷻ بالعمل، فلا يبتغي به إلا وجه الله، ومتابعة في العمل للرسول الكريم ﷺ.

ولهذا أقول: لقد أحسن المصنّف رحمه الله في ذكر حديث عائشة رضي الله عنها عقب حديث عمر رضي الله عنه.

وقوله ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**» هذا اللفظ متفق عليه؛ اتفق على إخراج هذا اللفظ البخاري ومسلم «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»، وفي رواية لمسلم: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»، وقد دلّ الحديث بمجموع لفظيه أنّ العمل مردودٌ سواء كان العامل هو المحدث له أو لم يكن هو المحدث له، فالعمل مردود إذا كان محدثاً سواء أحدثه الإنسان أو لم يحدثه وإنما أحدث له فعلم به فهو مردودٌ لا يقبله الله تبارك وتعالى، «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**» هذا فيه التحذير من الإحداث في الدين، وخطورة الإحداث، وسوء مغيبته، فمن أحدث في الدين ما ليس منه فهو رد، أي: ردّ عليه، ثم يبوء هو بإثم هذا الذي أحدث وبإثم من تابعه على حديثه ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل]، والله إنّ مصيبة المحدث في الدين عظيمة، وبليته كبيرة، يلقي الله جل وعلا بإثم نفسه وآثام من اتبعه فيما أحدث في دين الله، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**ومن دعا إلى ضلالة فعله وزرها، ووزر من عمل بها، لا ينقص من أوزارهم شيئاً**» فمصيبته عظيمة جداً الذي يحدث في دين الله تبارك وتعالى؛ لأن حدثه ردّ عليه ويدخل في ميزان سيئاته عمله هو وأعمال من اتبعه في حدثه ذلك؛ «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**» والرواية الأخرى «**من عمل عملاً**» حتى وإن لم يحدثه هو وإنما وجد أمراً محدثاً؛ إما أحدث قريباً أو أحدث من سنوات متطاولة فعلم به... حتى وإن قال: وجدت آبائي عليه وقبيلتي وعشيرتي ونشأنا عليه، لا يقبله الله منه، ليس هذا عذراً مقبولاً، فالعمل لا يقبله الله جل وعلا إلا إذا كان موافقاً للسنة؛ سنة النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، ولهذا عمّم ﷺ؛ فقال: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»، والحديث فيه ضابطٌ نافع لمعرفة البدعة، إذا قيل: ما البدعة؟ وما حدّها؟ فالحديث فيه ضابطٌ نافع «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا**» فكلّ عملٍ في الدّين يعني يُقصد به التقرب إلى الله ﷻ، وليس عليه أمر الرسول ﷺ فهو ردّ وهو بدعة، حدث في دين الله تبارك وتعالى، فالأعمال والطاعات والقربات أي شيء منها جاء به الإنسان بلا دليل من الكتاب والسنة فهو حدث في الدين، وهو مردود على صاحبه وليس مقبولاً منه.

إذن الحديث يبين لنا البدعة، ويبين لنا أيضًا أن كل بدعة في الدين مردودة، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**وكل بدعة ضلالة**» عمم، لماذا كل بدعة ضلالة؟ لأن الله ﷻ يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، ومن أحدث في الدين هو في الحقيقة بمثابة من يستدرك على الشارع الحكيم؛ كأن في الدين نقص، وفي أعماله نقص، وفي عباداته نقص، فيخترع هو ما يكمل به هذا النقص.

ولهذا قال الشافعي رحمه الله: "من استحسن فقد شرع" يعني: من يأتي بأشياء يجعلها من الدين ويستحسنها فهو شرع، فقد شرع؛ لأنه جعل نفسه مشرعًا يأتي بعبادات وأعمال لم يشرعها الله تبارك وتعالى؛ بل قال الإمام مالك رحمه الله في هذا المقام كلمة عظيمة، قال: "من قال في الدين بدعة حسنة فقد زعم أن محمدًا ﷺ خان الرسالة؛ لأن الله يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ وما لم يكن دينًا زمن محمد ﷺ وأصحابه فليس اليوم دينًا، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها" انتهى كلامه رحمه الله.

وهو كلام عظيم جدًا، وفيه فقه متين، فكل بدعة ضلالة، وكل عمل ليس عليه أمر الرسول ﷺ فهو رد، أي: مردود على صاحبه ولا يقبله الله تبارك وتعالى منه، فالله لا يقبل من الأعمال إلا الخالص لوجهه الموافق، لسنة نبيه ﷺ.

نية الإنسان الطيبة لا تشفع له وحدها للقبول، حتى يأتي برهان المتابعة للرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، ولهذا جاء في الحديث الصحيح في «الصحيحين» أن أحد الصحابة جاء في يوم الأضحى وذبح أضحيته قبل الصلاة، وكانت نيته ومقصده بذبحها قبل الصلاة طيبة؛ وأراد بذلك أن تذبح قبل الصلاة ويكون فيه فرصة لتهيئتها وتجهيزها بحيث إذا عادوا من الصلاة صلاة العيد وإذا بها جاهزة مهيأة قد أعدت، فهنا نوى نية طيبة؛ لكن هل هذه النية الطيبة الصالحة شفعت له؟ قال له النبي ﷺ: «شأتك شاة لحم» يعني: ليست أضحية، الأضحية بعد الصلاة حتى وإن كان قصدك طيب ومرادك حسن فليست مقبولة منك أضحية؛ لأن الأضحية لها وقت، ولهذا لا بد من اتباع السنة في صفة العمل وفي وقت العمل وهيئة العمل والعدد إذا كان فيه عدد، وهكذا، حتى يكون عمل الإنسان مقبولاً عند الله تبارك وتعالى.

وإذا علمت ذلك أخي المسلم، وأخي الطالب العلم إذا علمت هذه المعاني حول هذين الحديثين أدركت أن الدين كله يدور على هذين الحديثين.

ولهذا لا نبعد إذا قلنا: إن الدين نصفان جُمعا في هذين الحديثين: حديث «إنما الأعمال بالنيات»، وحديث «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»؛ وذلك لأن أي طاعة وأي عبادة يقوم بها العامل لا بد أن يكون فيها ما دل عليه هذان الحديثان من الإخلاص للمعبود والمتابعة للرسول الكريم ﷺ.

وأهل العلم أفردوا في الحديثين مصنفات:

في الحديث الأول مصنفات عدة في الإخلاص.

وفي الحديث الثاني مصنفات عدة في المتابعة، متابعة الرسول ﷺ.

وأيضاً ألقوا في التحذير مما يناقضهما، فآلقوا في التحذير من الشرك المناقض للإخلاص، وألقوا في التحذير من البدعة المناقضة للاتباع للرسول الكريم عليه الصلاة والسلام.



هذان الحديثان العظيمان يدخل فيهما الدين كله أصوله وفروعه، ظاهره وباطنه، فحديث عمر ميزان للأعمال الباطنة، وحديث عائشة ميزان للأعمال الظاهرة، ففيهما الإخلاص للمعبود والمتابعة للرسول اللذان هما شرط لكل قول وعمل ظاهر وباطن، فمن أخلص أعماله لله متبعا في ذلك رسول الله فهذا الذي عمله مقبول، ومن فقد الأمرين أو أحدهما فعمله مردود داخل في قول الله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان]، والجامع للوصفين داخل في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥] الآية، وقوله تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة].

﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ هذا الإخلاص، ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ هذا الاتباع، فالعمل لا يكون مقبولا إلا بهما؛ بالإخلاص الذي هو إسلام الوجه لله، والاتباع الذي هو الإحسان ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾.



أما النية فهي القصد للعمل تقربا إلى الله وطلباً لمرضاته وثوابه فيدخل في هذا نية العمل ونية المعمول له، أما نية العمل فلا تصح الطهارة بأنواعها ولا الصلاة والزكاة والصوم والحج وجميع العبادات إلا بقصدتها ونيتها، فينوي تلك العبادة المعينة وإذا كانت العبادة تحتوي على أجناس وأنواع كالصلاة منها الفرض والنفل المعين والنفل المطلق، فالمطلق منه يكفي فيه أن ينوي الصلاة وأما المعين من فرض أو نفل معين كوتر أو راتبة فلا بد مع نية الصلاة أن ينوي ذلك المعين، وهكذا بقية العبادات.